عروض الكتب والندوات

استجابة الهند للحرب في أوكرانيا

ترجمة : دينا نصر البرديني
الهيئة العامة للاستعلامات

الناشر: المعهد الملكي للخدمات المتحدة Royal United Services Institute

وهو مركز فكر بريطاني تأسس في العام 1831 ويعني بالقضايا العسكرية والأمنية، ويُعد أقدم مركز أبحاث مختص بالشؤون العسكرية والأمنية في العالم وشهد مشاركة بعض من أكثر المفكرين تأثيراً في القرنين التاسع عشر والعشرين. منذ بزوغ الإمبراطورية البريطانية، ومرورًا بتحولها وتفككها، وخلال الحروب العالمية الكبرى والحرب الباردة، كان RUSI محورًا لصنع السياسات والتفكير الدفاعي والأمني. يواصل المعهد الآن توثيق «الفوضى الجديدة» التي يشهدها العالم الحديث، ولا يزال جزءًا أساسيًا من البحث والمناقشة التي تحيط بالفكر العسكري والأمني.

الكاتب: Shubhrajeet Konwer
تاريخ النشر: 15 يونيو 2023

مقدمة :

يناقش شوبراجيت كونوير Shubhrajeet Konwer موقف نيوديلهي من الحرب في أوكرانيا والخط الرفيع الذي يتعين الحفاظ عليه لإحداث التوازن، ويقدم حجة مفادها أن علاقات الهند مع الغرب قد تجاورت حدود التعاون الأدنى، وبالتالي، يتوجب على كل الأطراف التعامل مع القلق المتبادل. من المرجح أن يتغير منظور نيودلهي تجاه التحركات الروسية في اوكرانيا فقط إذا كان هناك تغير جوهري في موقف روسيا بشأن القضايا المتعلقة بالأمن القومي للهند

حيث تمثل الحرب الشاقة والممتدة في أوكرانيا مفترق طرق حاسم في السياسة العالمية. فهي لم تعيد رسم «الخط الأحمر» في أوروبا فحسب، ولكنها أيضًا

هـزت أسـس النظـام العالمـي النيوليـبرالي وتحـدت القواعـد الراسـخة للحياديـة وعـدم التدخـل. كـما أنهـا أعـادت إلى الأضـواء النقـاش حـول «التحـوط» وموقـف الـدول «المحايـدة» في زمـن الحـروب في الوقـت الـذي ردت فيـه واشـنطن وحلفاؤهـا الرئيسـيون عـلى هـذا الوضـع مـن خـلال فـرض عقوبـات اقتصاديـة عـلى روسـيا، اتخـذت نيودلهـي موقفـاً أكـثر دقـة بخصـوص الـصراع الأوكـراني، ولم تـدن أفعـال روسـيا.

فالحكومـة الهنديـة، التـي دأبـت دائمًـا عـلى التأكيـد عـلى «وحـدة الأراضي» و»تسـوية النزاعـات بالطـرق السـلمية»، أصبحـت الآن هدفـاً لاسـتغلال الفـرص مـن قبـل الأطـراف المختلفـة، وذلـك خصوصًـا بعـد أن أثـارت الحـرب الروسـية الأوكرانيـة تنافسًـا شـديدًا بـين القـوى العظمـى. ومـع ذلـك، يظـل نظـام نارينـدرا مـودي ملتزمًـا بحمايـة المصالـح الوطنيـة مـن خـلال اسـتمراره في محاولـة تحقيـق التـوازن الدقيـق.

بالنظـر لتاريخهـا السـابق، فـإن قـرار الهنـد بالتماهـي "الحيـادي" وعـدم ادانـة روسـيا في الحـرب الروسـية الأوكرانيـة ليـس بالأمـر المسـتغرب، بـل يعـد نهجًـا متكـررًا ضمـن سياسـة الهنـد الخارجيـة. وقـد برهنـت الهنـد عـلى موقفهـا المـرن إزاء روسـيا منـذ نهايـة الحـرب البـاردة: فلـم تنتقـد نيودلهـي موسـكو عـلى تورطهـا في الحـرب ضـد جورجيـا)2008(أو ضمهـا لشـبه جزيـرة القـرم (2014). في عـام 2001، اختـارت الهنـد الانحيـاز نحـو الـرأي المغايـر بـدلاً مـن الامتنـاع عـن التصويـت، وذلـك مـن خـلال التصويـت ضـد قـرار الأمـم المتحـدة الـذي يديـن الانتهـاكات ضـد حقـوق الإنسـان في الشيشـان. نظـراً لسـجل روسـيا في دعـم «المصالـح الوطنيـة» الهنديـة في المنتديـات الدوليـة المختلفـة، والروابـط الدفاعيـة القويـة بـين البلديـن والتحديـات الموجـودة عـلى طـول خـط السـيطرة الفعليـة (LAC)، فـإن نيودلهي تواصـل الحفاظ عـلى علاقتهـا مـع موسـكو. بالنسـبة لنيودلهـي، فـإن الفوائـد المتوقعـة مـن الحفـاظ عـلى العلاقـات الجيـدة مـع موسـكو تتجـاوز بكثـير المخاطـر المحتملـة. بالإضافـة إلى ذلـك، أدت الأثـار الجيوسياسـية للحـرب الروسـية الأوكرانيـة إلى اختبـار ‹الشراكـة الطبيعيـة› بـين الهنـد والغـرب بقيـادة الولايـات المتحـدة. عـلى الرغـم مـن زيـارة العديـد مـن الشـخصيات الدوليـة البـارزة للهنـد منـذ بدايـة الحـرب، فقـد أصرت نيودلهـي عـلى أن لهـا الحـق في اتخـاذ موقفهـا الخـاص. يلخـص بيـان وزيـر الشـؤون

الخارجيـة في حكومـة الهنـد، سـوبرامانيام جايشـانكار، الـذي قـال فيـه ‹لا نجلـس عـلى السـياج› بـل ‹نجلـس عـلى أرضنـا› موقـف نيودلهـي تجـاه النـزاع.

موقف الهند «الدقيق» في الحرب

بعـد ثلاثـة أشـهر مـن القمـة السـنوية الواحـدة والعشريـن بـين الهنـد وروسـيا في نيودلهـي (ديسـمبر 2021)، التـي حضرهـا الرئيـس فلاديمـير بوتـين، أدى بـدء الحـرب الروسـية الاوكرانيـة في فبرايـر 2022 إلى وضـع الهنـد في موقـف صعـب. لقـد اعتمدت حكومـة نارينـدرا مـودي اسـتراتيجية متعـددة الجوانـب للتعامـل مـع تداعيـات الحـرب في أوكرانيـا. يتأثـر الموقـف الـذي تتخـذه الهنـد تجـاه أوكرانيـا بمـا تعتـبره ‹المصلحـة الوطنيـة›. تتضمـن اسـتراتيجية نيودلهـي الدعـوة إلى السـلام والحـوار، واسـتخلاص كافـة فوائـد التجـارة مـن موسـكو، واسـتغلال موقعهـا للحصـول عـلى فوائـد مـن الغـرب. أعـاد وزيـر الشـؤون الخارجيـة، سـوبرامانيام جايشـانكار، التأكيـد عـلى أن ‹الهنـد تقـف إلى جانـب السـلام›. مـن الهـام أن نلاحـظ أن الهنـد امتنعـت عـن التصويـت عـلى القـرار في مجلـس الأمـن التابـع للأمـم المتحـدة الـذي يديـن الاسـتفتاءات غـير الشرعيـة لروسـيا وضمهـا لأربـع مناطـق في أوكرانيـا.

كـما يتضـح مـن البيانـات التـي جمعهـا صنـدوق النقـد الـدولي، فقـد أدت الحـرب في أوكرانيـا إلى مشـاكل اقتصاديـة كبـيرة عـلى مسـتوى العـالم؛ حيـث ارتفعـت الأسـعار في جميـع أنحـاء العـالم، خاصـة النفـط والغـاز الطبيعـي، بالإضافـة إلى الغـذاء والقمـح. شـعرت العديـد مـن الـدول الناميـة، بمـا في ذلـك الهنـد، بالآثـار السـلبية لأزمـة أوكرانيـا مـن خـلال ارتفـاع معـدلات التضخـم وتوقـف النمـو الاقتصـادي. لتعويـض الأثـر السـلبي للحـرب عـلى اقتصادهـا، اتخـذت نيودلهـي موقفـاً معتـدلاً تجـاه النـزاع مـن خـلال الاسـتمرار في شراء النفـط مـن روسـيا بأسـعار ‹مخفضـة› و "تأمـين احتياجاتهـا مـن الطاقـة». رفضـت حكومـة الهنـد بقـوة إدانـة الحـرب و ‹أعربـت عـن قلقهـا› فقـط حتـى الآن.

إدارة مـودي، وعيًـا منهـا بالسـياق السـياسي والمـالي في الهنـد، اتخـذت هـذا الإجـراء نتيجـة لتباطـؤ الاقتصـاد - حيـث أثـرت زيـادة أسـعار الغـاز بشـكل خـاص عـلى المواطنـين. يقـدر البنـك المركـزي الهنـدي أنـه سيسـتغرق مـن الهنـد حتـى العـام

35-2034 لتتعافى اقتصادياً من الخسائر التي تكبدتها نتيجة لجائحة كوفيد-19. بالإضافة إلى ذلك، نظرًا لأن الهند تستورد 80٪ من النفط، فقد أثرت الحرب في أوكرانيا على أسعار النفط في الهند. اختارت إدارة مودي الدفع لصالح العلاقات التجارية مع موسكو. كما تشير التقارير، فقد حققت العلاقات التجارية بين البلدين ‹نموًا غير مسبوق›؛ حيث بلغ حجم التبادل التجاري في النصف الأول من العام 2022 أكثر من 11 مليار دولار ومن المتوقع أن يصل حجم التجارة المتبادلة إلى 30 مليار دولار بحلول العام 2025. وفقًا لوزارة التجارة والصناعة في الهند، وبفضل استيراد النفط والأسمدة بشكل كبير، بلغ حجم التجارة الثنائية بين نيودلهي وموسكو رقمًا قياسيًا (18.2 مليار دولار) بين أبريل وأغسطس 2022. دافع وزير الشؤون الخارجية جايشانكار عن شراء النفط من روسيا، مشيرًا إلى أن الزيادة في أسعار النفط الناجمة عن الحرب بين روسيا وأوكرانيا "تكاد تكسر ظهورنا". بجانب النفط والغاز، زادت الهند أيضًا من الواردات من روسيا في قطاعات أخرى. تشير التقارير إلى أن الهند أنفقت 276 مليون دولار على زيت دوار الشمس من روسيا بين أبريل ويوليو 2022، أكثر من ضعف سعر الشراء من العام السابق الذي كان 129 مليون دولار؛ بالإضافة إلى إنفاق ما مجموعه 60 مليون دولار على استيراد الفضة من روسيا. تبحث الشركات الهندية عن سد الثغرة التي تركتها الشركات الغربية التي أعلنت أو أتمت انسحابها من السوق الروسية في أعقاب العقوبات الاقتصادية الأخيرة. يستحق الأمر الإشارة مرة أخرى إلى أن موسكو ونيودلهي تجريان محادثات لإقامة اتفاق ثنائي يمكن بموجبه استخدام الروبل والروبية في المعاملات الثنائية. تشير التقارير إلى أن موسكو ونيودلهي كانتا تناقشان إمكانية قبول بطاقات الدفع الخاصة ببعضهما البعض، مثل بطاقة Mir الروسية وبطاقة RuPay الهندية، بالإضافة إلى الطرق البديلة لتنفيذ نظم التحويلات المصرفية المتبادلة لكل منهما، مثل نظام (UPI) Unified Payments Interface في الهند ونظام SPFS؛ ووفقًا للتقارير، اشترت شركة هندية أيضًا الفحم من روسيا ودفعت ثمنه باليوان. يعمل البنك الهندي الحكومي The State Bank of India ، أكبر بنك في الهند، أيضًا على وضع إطار لتسهيل التجارة الخارجية والأعمال باستخدام الروبية الهندية. في

الوقت الذي تواجه فيه أوروبا والولايات المتحدة أسوأ الأزمات الأمنية لها، لم يتم استقبال التزام الهند بملاحقة مصالحها الوطنية بقوة بشكل جيد في الغرب. تتعلق وجهة نظر نيودلهي حول الصراع أيضًا بعلاقاتها الدفاعية مع موسكو حيث إن الكثير من معدات الدفاع الهندية ذات أصل سوفيتي. وفقًا للتقارير، بين عامي 2000 و2020، شكلت روسيا 66.5 % من واردات الأسلحة الهندية. وبالإضافة إلى ذلك، هناك عدد من المشروعات الثنائية المختلفة التي يجري العمل عليها حاليًا. بعض هذه المشروعات يتضمن «التصنيع بموجب ترخيص للدبابات T-90 والطائرات Su-30-MKI، وتسليم طائرات MiG-29-K وKamov-31، وتحديث طائرات 29MiG- . وبالإضافة إلى ذلك، فإن التدريبات العسكرية المشتركة (INDRA) والتعاون في إنتاج المنصات العسكرية (صواريخ BrahMos العابرة للقارات) كانتا أيضًا من السمات المميزة في علاقة روسيا - الهند. لذلك، على الرغم من انخفاض واردات الأسلحة من روسيا إلا أنها لا تزال تصل إلى 46% في الفترة من 2017 إلى 2021.

بينما شهدت العلاقات الدبلوماسية بين موسكو ونيودلهي هدوءاً قصيراً، أسهم خروج القوات الأمريكية من أفغانستان في أغسطس 2021 في توفير البيئة والزخم اللازمين لروسيا لزيادة وجودها في أفغانستان وتعزيز علاقاتها مع الهند. يجب أن نتذكر أن لنيودلهي، تعد مسائل السلام والاستقرار والديمقراطية في أفغانستان من القضايا الرئيسية. عودة طالبان إلى السلطة في أفغانستان لا تمثل تقييدًا لمساحة الديمقراطية فحسب، بل تشكل أيضًا تهديدًا للأسس التي تم وضعها من أجل تحقيق السلام في جامو وكشمير في الهند.. في ديسمبر 2021، سافر فلاديمير بوتين إلى الهند لسد الفجوة التي كانت تزداد بين موسكو ونيودلهي، خاصة في المسائل المتعلقة بمشاركة الهند المتزايدة في الحوار الأمني الرباعي the Quad واختلافاتها مع الصين. لقد عزز الحوار الوزاري بصيغة 2+2، الذي جرى على هامش هذه القمة، "الشراكة الاستراتيجية الخاصة والمتميزة" . توصلت الدولتان إلى قرار بتمديد اتفاقهما للتعاون العسكري والتكنولوجي حتى 2031 خلال زيارة بوتين. بالنسبة لنيودلهي، فإن وجود روسيا والدعم الدبلوماسي منها أمر حاسم إذا كانت تسعى لتحقيق تحديين استراتيجيين رئيسيين: أولًا، منع

أفغانستان من أن تصبح «ملاذًا آمنا للمنظمات الإرهابية العالمية»؛ وثانيًا، «إدارة الصين على المدى القصير». تحتاج نيودلهي إلى علاقات صحية مع موسكو لمواجهة وجود بكين المتزايد على طول خط السيطرة الفعلية (LAC). وفقا لغروسمان، «تسعى الهند أيضا للاستفادة من العلاقات القوية مع روسيا في مواجهة خصمها الصيني، وتقدر كثيرا دعم موسكو لموقفها بخصوص كشمير المتنازع عليها». بالنظر إلى التحديات الاستراتيجية للهند في جنوب آسيا والقيود الاقتصادية المحلية، فإن حكومة مودي ليس لديها خيار سوى الترحيب بموسكو لإحداث التوازن أمام كل من الصين والولايات المتحدة.

العواقب المترتبة على نيوديلهي

للموقف «المحايد» الذي تتبعه الهند تأثيرات مباشرة وبعيدة المدى على نيودلهي. على المدى القصير، تمكنت نيودلهي من التخفيف مؤقتاً من بعض التأثيرات السلبية للتحديات الاقتصادية المستمرة في البلاد، وذلك بفضل العمليات التجارية الكبيرة التي تجريها مع موسكو. وفقًا للتقارير، فإن الهند - مثلها مثل بقية دول العالم النامي - تتمتع بـ «نظرة إيجابية خالصة تجاه روسيا»، كما لاتزال الجماهير المحلية على دعمها لإدارة مودي. بالإضافة إلى ذلك، يعارض جزء كبير من السكان الهنديين العقوبات الغربية على روسيا وفقًا لاستطلاع تم إجراؤه، وهو ما يجعل إدارة مودي تنتصر على الأقل في «معركة الإدراك» داخل البلاد. حظي موقف الهند بالموافقة بشكل عام من قبل خبراء الأمن المحليين والجمهور. ولكن على نيودلهي أن تكون على أهبة الاستعداد لمواجهة تداعيات موقفها المستقبلية حيال النزاع. مع استمرار الحرب دون توقف، من المحتمل أن تتأزم العلاقة الدفاعية الهندية مع روسيا، وهذا سينعكس أيضًا على علاقتها الطبيعية مع الغرب. كما يعد التقارب المتنامي بين موسكو وبكين مصدر قلق كبير للهند.

التعاون الدفاعي هو "حجر الزاوية" في العلاقات بين روسيا والهند، وقد يتعرض لتأثيرات كبيرة على المدى البعيد بسبب الأوضاع في أوكرانيا. لقد دخلت الحرب في أوكرانيا عامها الثاني دون أن يلوح في الأفق حل معنوي. وفقًا لعدد من المصادر، تكبد الجيش الروسي خسائر كبيرة، ويعاني من «نقص حاد

في الأفـراد، وعـدم التنسـيق بـين الوحـدات، وخطـوط الإمـداد غـير المسـتقرة». في الوقـت ذاتـه، عـلى الرغـم مـن تأثـر الاقتصـاد الـروسي الشـديد بالحـرب، والـذي مـن المتوقـع أن يتقلـص، فـإن «تلـك الوجيعـة ليسـت كافيَـة" لتغيـير مسـار الحـرب. تتوقـع موسـكو أن يبـدأ «تعـب الحـرب» في الحلـول عـلى الـدول الغربيـة؛ بالتأكيـد، الحـرب تختـبر مرونـة الاتحـاد الأوروبي والولايـات المتحـدة ماليًـا. بشـكل ملمـوس، مـع تصاعـد شـدة الحـرب، أصبـح سـد الفجـوة بـين روسـيا والغـرب أمـرًا صعبًـا. بالنظـر إلى العلاقـة الدفاعيـة غـير المتناسـقة مـع موسـكو، تشـعر نيودلهـي بالقلـق المتزايـد.

التعاون الدفاعي والتجارة

في الحـوار الافتتاحـي 2+2 لـوزراء الخارجيـة والدفـاع في الهنـد وروسـيا الاتحاديـة (ديسـمبر 2021، نيودلهـي)، وقعـت البلديـن الاتفـاق بشـأن برنامـج التعـاون العسـكري التقنـي للأعـوام 2021-2031. وقـد تضمـن ذلـك العديـد مـن المشـاريع الثنائيـة، البحـوث المشـتركة وتطويـر التصميـمات، بالإضافـة إلى دفـع المشـاريع المشـتركة في إطـار مبـادرة "صنـع في الهنـد". بعـد عـام، بالنظـر إلى الصعوبـات التـي يواجهـا الجيـش الـروسي، مـن المنطقـي الاسـتنتاج أن العديـد مـن المشـاريع التعاونيـة اصبحـت في خطـر رغـم عـدم وجـود إعـلان رسـمي عـن مسـتقبلها. منـذ ذلـك الحـين، ظهـرت تقاريـر متناقضـة، حيـث تـصر الحكومـة الروسـية عـلى أن تسـليم أنظمـة الصواريـخ S-400 مـازال عـلى المسـار الصحيـح وسـيتم تسـليمها إلى الهنـد بحلـول نهايـة العـام؛ لكـن بالنظـر إلى الظـروف، يخلـص الخـبراء إلى أنـه مـن المرجـح تأخـير توصيـل الأدوات الدفاعيـة الكبـيرة مثـل أنظمـة الصواريـخ S-400، وقطـع غيـار الغواصـات مـن فئـة Kilo، وطائـرات Mig-29، ومروحيـات النقـل العسـكرية Mi-17. يشـير تقريـر آخـر إلى أن «تسـليم الفرقاطتـين الشـبح مـن فئـة Krivak أو Talwar قيـد الإنشـاء للبحريـة الهنديـة في روسـيا» سـيتأخر بسـبب الحـرب في أوكرانيـا. إذاً، بـدأت الحـرب في أوكرانيـا في التأثـير عـلى احتياجـات الدفـاع الهنديـة و"تراجـع اعتـماد الهنـد عـلى الأسـلحة الروسـية تدريجيـاً". بـدأت الهنـد في رحلـة تنويـع مصـادر الدفـاع لهـا. عـلى الرغـم مـن أن الهنـد مـا زالـت أكـبر مشـتري للأسـلحة في العـالم، إلا أن شـحنات الأسـلحة الروسـية إلى الهنـد، البلـد الـذي يشـتري

أكبر كمية من الأسلحة الروسية، انخفضت بنسبة 37% بين عامي 2018 و2022، وفقاً لمعهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام (SIPRI).

وفقاً للتقارير، فإن الشراكة الدفاعية بين الولايات المتحدة والهند بدأت بالفعل في التسارع في محاولة لتحقيق التوازن في مواجهة التهديد الصيني وتقليل الاعتماد على الأسلحة الروسية. بالإضافة إلى ذلك، تواصل فرنسا محاولة جذب الهند، وأعرب الدبلوماسيون الفرنسيون عن استعدادهم للتعاون مع الهند في مشاريع كبرى، تشمل الغواصات النووية. وقد سلمت فرنسا للهند 36 طائرة مقاتلة من طراز رافال وأسلحة أخرى، وهي تعمل على بناء قاعدة صناعية دفاعية على مستوى الدولة. تواصل الهند تعزيز علاقاتها الدفاعية مع إسرائيل والتعاون في مجال الطائرات بدون طيار (UAV) ، وتكنولوجيات المراقبة المتقدمة، وقدرات الدفاع السيبراني وأنظمة الحرب الإلكترونية.

أبرز خبراء الأمن أن الحكومة الهندية اتخذت عددًا من التدابير التنظيمية لتشجيع التصميم والتطوير والإنتاج المحلي لمعدات الدفاع، بهدف خلق «نظام صناعي دفاعي مستدام». تسعى الهند إلى تنويع مشترياتها الدفاعية وتروج لـ «شراء (الهندي) وصنع (هندي)». كما اكتسبت حملة "أتمانيربهار" (اعتماد الهند على ذاتها) في إنتاج الدفاع زخمًا، وخاصة بعد الاشتباكات مع الصين في وادي جالوان في مايو 2020، حيث "سارعت الهند لشراء الأجهزة العسكرية". تصمم إدارة مودي على تجنب أخطاء الماضي. من المتوقع أن تساعد السبع شركات الدفاعية الحكومية الجديدة (PSUs) ، والتي تم انشاءها في أكتوبر 2021 و تمتلكها الحكومة بالكامل، في «تحسين الاعتماد الذاتي للبلاد في التحضير للدفاع". تتضمن الخطوات التي تبذلها الحكومة من أجل تحقيق التوطين الذاتي في مجال "القدرة القتالية» إنتاج طائرات القتال الخفيفة (LCA)، وإنتاج الطائرات المروحية الخفيفة متعددة الأغراض (LUH)، وتشغيل نظام مدفعية «دانوش» على طول الحدود مع الصين (قطاع لاداخ)، بالإضافة إلى التحديث وفقًا لخطة الجيش لترشيد المدفعية الميدانية (FARP)، وهذه بعض الخطوات الرئيسية نحو جعل القوات المسلحة الهندية أقل اعتمادًا على الأطراف الأخرى. قال وزير الدفاع الهندي راجناث سينغ Rajnath Singh إنه يمكن استخلاص

دروسا مستفادة من الأزمة في أوكرانيا، وأن هذه الدروس لا تنطبق فقط على الخدمات اللوجستية ولكن أيضا على العلاقات الاقتصادية والعقود التجارية، التي قد تتعرض للتعطيل خلال الحروب المستقبلية. ولهذا السبب، تعتزم حكومة الهند شراء عدد من المنصات الجوية بدون طيار خلال السنوات القادمة لإجراء عمليات المراقبة في خط السيطرة الفعلي (LAC). وتعمل شركة هندوستان للطيران The Hindustan Aeronautics Ltd بالفعل بجد على تطوير طائرات بدون طيار متعددة الأدوار وذات تقنية عالية وقادرة على التحليق لفترات طويلة، وتعتمد على التقنيات المدعومة بالذكاء الاصطناعي. جذبت الحكومة القطاع الخاص أيضاً؛ حيث تعاونت منظمة البحث والتطوير الدفاعي (DRDO) مع مجموعتي تاتا وكاليانى لتطوير نظام مدفع مدفعي مقطور متقدم عيار155 مم/ 52 (ATAGS) . ونظرًا لأن عملية اقتناء المعدات الدفاعية تعد عملية ممتدة، فقد سعى الجيش الهندي إلى «تسريع» الإجراءات الخاصة بشراء الطائرات بدون طيار اللوجستية. فعلياً، دفع نظام مودي بشعار " الهند المستقلة بذاتها" (أتمانيربهار atmanirbhar). ومع ذلك، يظل أداء شركات القطاع العام في الهند محط استفهام، وتظل قدرتها على تقديم بضائع "عالية الجودة" أمرًا مثيرًا للقلق.

العلاقات الروسية الصينية

ومع ذلك، يظل التقارب المتنامي بين موسكو وبكين هو أحد أبرز المخاوف التي تواجه نيودلهي على المدى البعيد نتيجة الحرب في أوكرانيا. وعلى الرغم من أنه قد يكون لبكين «تساؤلات» حول الحرب في أوكرانيا، فإن البلدين مرتبطين بغاية مشتركة، وهي، إقامة نظام عالمي جديد. ووفقًا لشولمان وتايلور Shullman and Taylor، فإن التنسيق المتزايد بين البلدين فيما يتعلق بالمسائل الأمنية والجهود المبذولة لتشكيل النظام العالمي يعقد التحديات الاستراتيجية للولايات المتحدة وحلفائها. من المؤكد أن تلك «العلاقة التي لا تعرف حدوداً» ستثير الاضطراب في العالم الغربي وسيكون لها تأثيرات كبيرة على الهند. ومن المتوقع أن تصل قيمة التبادل التجاري الثنائي بين روسيا والصين إلى مستوى قياسي جديد يبلغ 170 مليار دولار. وتشعر نيودلهي بالقلق من أن روسيا، مع

استمرار الحرب، ستصبح في نهاية الأمر "الشريك الأصغر" للصين. تفيد التقارير بأن المستشار الأمني الوطني للهند، أجيت دوفال Ajit Doval، أبلغ نظيره الروسي بأن نيودلهي لم تكن ملتزمة يوماً بمعسكر واحد، وأنها دائما ما أولت الأولوية لمصلحتها الخاصة، مع قلقها من توجه روسيا نحو الصين. ومن وجهة نظر نيودلهي، فإنه من المتوقع على المدى الطويل ان تحتفظ روسيا، حتى لو كانت ضعيفة، بقوة دبلوماسية كافية للضغط على الحكومات للحفاظ على السلام على طول الحدود والاستقرار في جنوب آسيا.

بعد أكثر من 12 شهرًا من النزاع، أصبح من الواضح أن العقوبات الغربية قد أثرت على المجمع الصناعي العسكري الروسي. نظرًا للتحديات التي تواجهها موسكو، يبدو من المحتمل أن توكل روسيا المزيد من إنتاج معداتها العسكرية إلى الصين. ونتيجة لذلك، فإن شراء الأسلحة وقطع الغيار ذات الصلة من روسيا سيكون مشكلة كبيرة لنيودلهي في السنوات القادمة. على الرغم من أن نظام مودي قد عزز حواجزه، فإن التحديات الجيواستراتيجية على طول خط السيطرة الفعلي (LAC) وخط السيطرة (LoC) تستمر في اختبار القدرات العسكرية للهند من وقت لآخر. حكومة مودي التي أطلقت حملة عنيفة ضد باكستان والصين، لا يمكنها أن تتراخى في حمايتها لحدود الهند في ظل استمرار عدم الاستقرار في المنطقة. يعد التصعيد الصيني على طول خط التحكم الفعلي و»الصداقة المتينة» مع باكستان مصدر قلق لنظام مودي. يضاف إلى ذلك القلق من التقارب المتزايد بين موسكو ومنظمة التعاون الإسلامي OIC، إذ يتم إصدار بيانات تدعمها باكستان بشأن كشمير بشكل متكرر. وقد عززت مؤخرًا كل من موسكو وبكين علاقاتهما الاقتصادية مع طالبان في أفغانستان، مما وضع نيودلهي في موقف محفوف بالتحديات.

علاقات مشبعة مع الغرب؟

بلا شك، سيكون لموقف الهند من الصراع في أوكرانيا تأثير طويل الأمد على علاقتها بالولايات المتحدة والحلفاء الرئيسيين في الغرب. بالنسبة للغرب، تعتبر الهند الديمقراطية شريكًا طبيعيًا. ومع ذلك، فقد ألقى الموقف «الغامض» لنيودلهي بظلال من الحيرة على الغرب. على الرغم من زيارات عديدة قام

بها وزراء الشؤون الخارجية الأوروبيين للهند عقب النزاع الروسي الأوكراني، كان وزير الشؤون الخارجية جايشانكار حريصًا على طمأنة الغرب بأن الهند لم تكن مجرد متبني لموقف محايد وأن لها الحق في امتلاك وجهة نظر خاصة بها. وعلاوة على ذلك، خلال منتدى في سلوفاكيا، قال: "يجب على أوروبا أن تتخلص من وجهة النظر التي تعتبر مشكلات أوروبا مشكلات العالم، بينما مشكلات العالم ليست بالضرورة مشكلات أوروبا". تشير التحليلات الأعمق إلى أن موقف الهند تجاه الحرب في أوكرانيا لا يرتبط بشكل كبير بعلاقاتها التاريخية والدفاعية مع روسيا، وإنما يتعلق أكثر بتشبع علاقاتها مع الغرب. من الواضح أن نيودلهي تتوقع المزيد من الغرب، وبشكل غير مشروط. بالرغم من تعزيز التعاون مع الغرب في قطاعات محورية، فإن «الهند الصاعدة" لم تعد راضية عن الوضع الحالي للعلاقات. ساهم النمو في العلاقات التجارية، التعاون في مجال العلوم والتكنولوجيا، تقدم الرأسمالية والصناعات الاستهلاكية، والشراكة في استكشاف الفضاء في ضمان تحقيق الحد الأدنى من التعاون. وقد عزز وجود «ثقافة ديمقراطية» وجالية هندية كبيرة في الغرب هذه العلاقة. بعد الوصول إلى هذا المستوى، بدت علاقات الهند مع الغرب في حالة توازن. ومع ذلك، يدرك الطرفان أنه من غير المحتمل أن تنخفض هذه العلاقة دون هذا المستوى، وأن هناك احتمالية لتعزيزها بشكل إيجابي.

بالنسبة للولايات المتحدة وحلفائها في منطقة المحيط الهندي والمحيط الهادئ، اصبحت الصين التهديد الأكبر على المدى الطويل. وتشعر نيودلهي أيضاً بالقلق بسبب الزيادة المستمرة لتواجد الصين في جنوب آسيا وفي المناطق المجاورة. من وجهة نظر واشنطن، تعتبر الصين هي الدولة الوحيدة التي تمتلك القدرة الاقتصادية والسياسية والعسكرية والتقنية لتشكيل تهديد طويل الأمد لتحقيق نظامًا دوليًا مفتوحًا ومستقرًا. ومن الواضح أن هناك توافقًا في المصالح بين الهند والولايات المتحدة؛ فبالنسبة لنيودلهي، لم تعد باكستان هي الخصم الرئيسي، بل الصين، وعليه فإن الهند لن تقبل بآسيا متمركزة حول الصين. لضمان الاستقرار في منطقة المحيط الهندي والمحيط الهادئ ومواجهة التهديدات المتزايدة من الصين، سيحتاج الحوار الأمني الرباعيQuad إلى أن يصبح أكثر «قوة». ومع

ذلك، هناك تناقضات واضحة بين الهند وبقية أعضاء الQuad؛ بالنسبة للهند، تكمن التحديات في المنطقة في الأساس في القضايا الاقتصادية أكثر من التوجه الأمني. وقد أضعفت المواقف المتذبذبة لنيودلهي تجاه المنطقة «قوة» ال Quad. وقد أرسلت الهند رسالة واضحة إلى الغرب بأن تواصلها مع المؤسسات متعددة الأطراف سيكون مدفوعًا بالمصلحة الوطنية. وعلاوة على ذلك، لم تكن مشاركة الهند في منظمة شنغهاي للتعاون (SCO)، وهي منظمة انتقلت من كونها «غير غربية» إلى «معادية للغرب»، موضع ترحيب في واشنطن.

عند مقارنتها بالاقتصادات الآسيوية الأخرى، تحقق الهند أداءً استثنائيًا، مع توقعات بنمو اقتصادي يبلغ 7.3 % للسنة المالية الحالية. تدرك نيودلهي أن الغرب لم يعد بإمكانه تجاهل وجود الهند كونها خامس أكبر اقتصاد في العالم. كما هو واضح من استثناء الهند من "قانون مكافحة أعداء أمريكا من خلال العقوبات" (CAATSA)، تريد واشنطن أن تظل الهند خارج نطاق تأثير روسيا والصين. العقوبات الأحادية لن تقيد وإنما ستعزز سلوك نيودلهي. بالنسبة لحكومة مودي، يجب الشك في كل ما هو «أجنبي»، ويكتسب هذا الرأي زخمًا حقيقيًا في الهند. بينما يركز السياسيون غالباً على القومية والوطنية، هناك ضغط متصاعد على حكومة مودي كي تثبت للشعب الهندي أن بلادهم تقف في موقف الشريك المتكافئ للغرب وأنها ليست تحت وصايته. الجهود التي بذلتها نيودلهي لتحقيق التوازن في هذا السياق قد أثرت سلباً على علاقاتها مع الغرب، ولكنها لم تدمرها بالكامل.

حدود فن التوازن

لقد أكدت إدارة مودي أن «العصر الحالي ليس عصر حروب». وفي وقت فرضت فيه معظم الدول الغربية عقوبات اقتصادية على روسيا، أبقت الهند نافذتها مفتوحة للتجارة مع موسكو. سيظل فن التوازن الهندي سائداً حتى يصل إلى «نقطة التحول»، وهي بالأساس لصالح الغرب، حيث تجاوزت العلاقات بين الأطراف الحد الأدنى للتعاون. رغم وجود اهتمامات متشابكة وأحيانا متعارضة، إلا أن العلاقة المتعددة الأوجه بين الديمقراطيات الغربية الليبرالية والهند أكثر عمقًا من أن تنكسر بسهولة. بلا شك، هناك العديد

مـن المتغـيرات التـي قـد تدفـع الهنـد بعيـداً عـن روسـيا عـلى المـدى الطويـل، ومعظمهـا مرتبـط بأمنهـا القومـي، وحـدة أراضيهـا، والتطـورات في جنـوب آسـيا. إذا بـدأت روسـيا في إعـادة النظـر في المصالـح الوطنيـة الأساسـية للهنـد، والتـي تشـمل التشـكيك في وحـدة أراضيهـا ، وبالأخـص موقـف جامـو وكشـمير، وتأييـد موقـف الصـين بشـأن أروناشـال براديـش، التـي تشـير إليهـا بكـين باسـم «جنـوب التبـت»، وتجاهـل أنشـطة الجماعـات الإرهابيـة المعاديـة للهنـد في أفغانسـتان وباكسـتان، والتشـكيك في حالـة الحكـم في البـلاد، والتحقيـق في قوانـين مثيرة للجـدل مثـل قانـون تعديـل المواطنـة (CAA) وإلغـاء المـادة 370 بالإضافـة إلى إعـادة تقييـم مطلـب الهنـد المتعلـق بالحصـول عـلى مقعـد دائـم في مجلـس الأمـن التابـع للأمـم المتحـدة (UNSC)، فقـد تخـرج نيودلهـي مـن دائـرة القـرب مـع موسـكو بـكل تأكيـد.

بينـما قـد تلعـب عوامـل طويلـة الأجـل دورًا في التأثـير عـلى العلاقـات بـين روسـيا والهنـد، فإنـه في ظـل الظـروف الراهنـة، سـيكون مـن غـير الحكمـة لموسـكو إعـادة النظـر في هـذه القضايـا في المسـتقبل القريب.عـلى عكـس الغـرب، نـادرًا مـا تسـاءلت موسـكو عـن سياسـات الهنـد المحليـة. وقـد سـعت الهنـد إلى تعزيـز العلاقـات مـع موسـكو، علـمًا بـأن ذلـك مـن شـأنه أن يـؤدي إلى شيء مـن عـدم الارتيـاح لـدى الغـرب. مـن ناحيـة أخـرى، يواصـل الغـرب شـد الخنـاق عـلى نيودلهـي. في سـبتمبر 2022، انتقـدت الهنـد إدارة بايـدن لموافقتهـا عـلى برنامـج دعـم أسـطول طائـرات مقاتلـة مـن طـراز F-16 بقيمـة 450 مليـون دولار لباكسـتان. وعـلى الرغـم مـن أن باكسـتان كانـت "مركـز الإرهـاب العالمـي»، فقـد تـم إزالتهـا مـن القائمـة الرماديـة لمجموعـة العمـل المـالي الدوليـة (FATF). تُظهـر هاتـان القضيتـان أن نيودلهـي وواشـنطن ليسـتا عـلى اتفـاق. ونتيجـة لذلـك، قـد تواصـل واشـنطن في المسـتقبل ترددهـا بشـأن دعـم طلـب الهنـد للحصـول عـلى مقعـد دائـم في مجلـس الأمـن التابـع للأمـم المتحـدة، خاصـة في ضـوء موقـف الهنـد تجـاه العديـد مـن القضايـا الحاسـمة..

عـلى الرغـم مـن أنهـما «شركاء اسـتراتيجيين»، يظـل التعـاون الدفاعـي بـين الهنـد والولايـات المتحـدة محـدودًا بعـض الـشيء. يقـول بيشـوي Bishoyi إن مسـتقبل الشراكـة الاسـتراتيجية بـين الهنـد والولايـات المتحـدة سـيعتمد، إلى حـد كبـير، عـلى

«نقل التكنولوجيا والإنتاج المشترك للتقنيات المتطورة في القطاعات الدفاعية والاستراتيجية».وعلى الرغم من أن إدارة بايدن تستعد لتقديم مساعدات عسكرية للهند بقيمة 500 مليون دولار للحد من اعتماد نيودلهي على موسكو، إلا أن ذلك قد لا يكون كافيًا. تسعى الهند لمزيد من الاستثمار من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي لتحقيق ناتج محلي إجمالي قدره 5 تريليونات دولار بحلول عامي 2024-2025. ومع ذلك، ما تريده نيودلهي حقًا هو أن يبقى الغرب بعيدًا عن القضايا الداخلية للهند وألا يعلق على موضوعات حساسة مثل صعود القومية الهندوسية وحقوق الأقليات. ووفقًا لحكومة مودي، فإن التصنيفات الدولية لقضايا مثل الجوع وحقوق الإنسان وحرية الصحافة، والتي تكدسها ما يسمى بـ "المنظمات الغربية»، تهدف إلى «تشويه» سمعة الهند. وتعتبر واشنطن - والديمقراطيين على وجه الخصوص - من أشد المنتقدين لنظام مودي كما أنها تشكك في السياسات المحلية للهند، على عكس موسكو، التي لم تعرب عن اهتمام بالشؤون الداخلية للهند أبدًا. يعي الغرب أن هذه الأسئلة قد تضع حكومة مودي في موقف صعب وتعيق التعاون، ولكنه لا يمكنه التأثير على مجرى العلاقات بين البلدين. نظراً للتقلبات الجارية في جوار الهند والظروف الانتخابية المستمرة، يدرك الغرب أن إدارة مودي قد تتخذ مواقفًا تتعارض مع رؤيته. ومع ذلك، في ظل العواطف المناهضة لباكستان والصين التي تسود البلاد، لا يمكن لنظام مودي أن يدعم علنيًا أي مبادرة تقودها بكين وإسلام آباد. بالنسبة لحكومة مودي، فإن آخر ما ترغب فيه هو أن يعتبرها الناخبون الهنود ضعيفة.

الخاتمة

أعاد موقف الهند بشأن الحرب في أوكرانيا إحياء الجدل حول «الحيادية» و»التحوط» في نظام عالمي متغير. وفي ظل تهديد أزمة اقتصادية وغذائية عالمية، تصرفت العديد من الدول في الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا بحذرٍ شديدٍ، بل كانت مترددة في إدانة روسيا واتباع توجيهات الولايات المتحدة. بالنسبة للعديد من هذه الدول النامية، لا يمكن تجاهل جاذبية عرض روسيا للنفط بأسعار «مخفضة». لم تكشف الحرب في أوكرانيا فقط عن الفجوة بين الشمال